**المحاضرة04: نظرية الحجاج التداولي**

**تمهيد:** إذا كانت لسانيات دو سوسير قد ترتب عليها مناهج كثيرة سيميائية وبنيوية و تفكيكية أثرت في مجملها في الفلسفة القارية، فإن الفلسفة الأنجلوسكسونية عامة كانت تطغى عليها اللسانيات التداولية والدلالية، و لم يكن موضوع الحجاج بعيدا عن هذا التأثير الواسع للتداولية المعاصرة التي أرسى دعائمها أصحاب نظرية أفعال الكلام أوستن وسيرل.

لكن ماهي الآثار المترتبة لهذه النظرية على مفهوم الحجاج ؟

**تعريف التداولية:** مفهوم لساني يربط اللغة بالأفعال التي يقوم بها الإنسان فالكلام إذا ليس مجرد إخبار بل هو كلام مؤثر يدفع المتلقي إلى الاستجابة و إلى الفعل، والنص " ليس مجرد خطاب لتبادل الأخبار والأقوال والأحاديث، بل يهدف إلى تغيير وضع المتلقي عبر مجموعة من الأقوال والأفعال الانجازية، وتغيير نظام معتقداته، أو تغيير موقفه السلوكي من خلال ثنائية إفعل أو لا تفعل"[[1]](#footnote-2)

**أهم نظريات الحجاج التداولي:**

**نظرية أفعال الكلام عند أوستن وسيرل:**

يتأسس مفهوم الحجاج التداولي على نظرية " أفعال الكلام " التي صاغها الفيلسوف الأمريكي" أوستن سنة " 1662م في كتابه " نظرية أفعال الكلام" ، وتلميذه جون سيرل في كتابه " أفعال اللغة " سنة 1669 ، لذلك تقوم نظرية أفعال الكلام على ثلاث خصائص أو عناصر أساسية:[[2]](#footnote-3)

فعل القول : و هو إطلاق الكلام في جملة مفيدة سليمة التركيب و ذات دلالة و نستطيع أن نقول عنها ( القول الإخباري ).

الفعل المتضمن في القول : أي الغرض المقصود من القول كطبيعة الامر او النهي او النداء ..الخ ( الفعل ألانجازي ) .

الفعل الناتج عن القول : هو ما يترتب عن القول من آثار على المتلقي ( الفعل التأثيري ) .

يمكن تقسيم أفعال الكلام حسب ما يقصد بها من أغراض إنجازية إلى :

التقريريات : تشمل كل ما يؤكده المتكلم و ما يقرره من أحداث في الواقع مثلا: ( الجزائر استقلت في 1962 أو ابن باديس من جمعية العلماء المسلمين) هذه الأمثلة يمكن الرجوع اليها ، و التأكيد منها: الطلبيات أو الأمريات : تشمل ما يطلبه المتكلم من المخاطب في فعل ما مثل : ( اخرج من القسم ، هل ستنجز واجبك غدا ) هنا الأمر .

البوحيات أوالإفصاحيات : هي ما يفصح عنه المتكلم من شعور إزاء ذاته أو غيره مثلا: أحب أن أراك سعيدا ، مللت الانتظار ، أكره الصهاينة .

الوعديات : تفيد التزام المتكلم بإنجاز فعل في الزمان المستقبل ، مثل : أعدك بسفر رائع إلى مصر.

التصريحيات : يقصد بها إعلام المتكلم لإنجاز فعل يفيد تغيرا مترقبا على مستوى الخارجي، مثل : تصريح رئيس الجمهورية الإعفاء من الخدمة الوطنية .

الدلالات الصريحة و الضمنية : إذا كانت الدلالات الصريحة واضحة فان الدلالات الضمنية يصنفها أصحاب هذه النظرة إلى صنفين :

معاني عرفية أو معاني حوارية أوسياقية

و يمكن تحليل ايضا المعنى المتضمن حسب العرف إلى نوعين :

المعنى المقتضى و المعنى المستلزم منطقيا .

أما المعاني الضمنية المتداولة عن السياق فهي نوعان :

المعاني الناتجة عن سياق عام و المعاني الناتجة عن سياق خاص .

المعنى الضمني للجملة يتألف من معنيين عرفيين وهما :

الاقتضاء ( هل تعيرني القلم الأحمر ) تتألف من معنيين عرفيين هما: الاقتضاء: وجود قلم احمر و الاستلزام المنطقي ، إن يكون القلم لونه أحمر . أما من حيث المعنى السياقي أو الحواري هو: الالتماس يعني التماس المتكلم إن يعيره القلم الأحمر.

نستنتج مما سبق أن النظرية التداولية تنزل باللغة إلى مجال الواقع و الفعل و أن المحلل التداولي لا يقف عند التصنيف فقط بل يربطها بالمجال الواقعي و مجال الحوار الذي يمكن أن يحصل بين أطراف مختلفة ، فالخطاب بالنسبة للتداولية خطاب يستلزم الحوار و الانجاز.

وأن تحليل نص أدبي أو أي نص أخر بحسب نظرية أفعال الكلام نقوم بتصنيف العبارات اللغوية إلى عبارات خبرية و أخرى إنشائية، إلى عبارات صريحة المعنى محددة في أفعالها العضوية ثم تبيان قوتها الإنجازية الحوارية و منها تنتقل الى معاني ضمنية سواء كانت عرفية أواقتضائية أوعضوية ، كما تراعي الاستلزام الحواري لتلك الجمل باستنتاج بنيتها الحجاجية و السياقية والمقامية، و هكذا فان نظرية أفعال الكلام ترى أن اللغة تصبح أكثر حجاجية لما ترتبط بالسياق والحوار و طبيعة المتكلم و هذا ما يؤسس عليه معنى الحجاج التداولي.

**نظرية ترودي جوفييهّ: T. Gouvier**

تندرج دراسة جوفييه للحجاج في إطار إشكالية دراسة الحجاج كتخصص والتنظير لهذه العملية، من خلال تقديم رؤية أو نظرية، وكان ذلك مع مجموعة من الباحثين الآخرين أمثال دوغلاس ولتن وشارل ويلار وتجارك كروتر[[3]](#footnote-4) فقد قدم كل من هؤلاء وجهة نظره الخاصة. لكن ما يميز جوفييه وويلار أنهما ركزا في بحثهما على مفهوم الحجة في سياقها التداولي.

" يعرف جوفييه الحجة بطريقة تقليدية تماما، كمجموعة من القضايا مبينة في مقدمات ونتائج."[[4]](#footnote-5)

وتتصف الحجة بالطابع التبريري والعقلاني وتهدف إلى الإقناع، فهي مبنية على التواصل والانفتاح والمناقشة وليس العنف.

أما صلاحية الحجة عنده فترجع إلى توفر ثلاثة شروط:" شرط القابلية وشرط المواءمة وشرط التبرير"[[5]](#footnote-6) وكل ذلك متعلق بالمقدمات، فالقابلية هنا هي قابلية المقدمات ومدى قبولها، والمواءمة هي أن تكون المقدمات في علاقة بالنتيجة، وأخيرا التبرير الذي يدل على كفاية المقدمات للنتيجة. وبما أن الحجاج متعلق بعلاقة المقدمات بالنتائج، فإن الاخلال بشروط صلاحية الحجة يؤدي إلى نتائج عكسية. " فقد سمحت هذه الشروط لجوفييه بوضع الشروط التي يمكن أن تجعل من المقدمات غير مقبولة، فمقدمة ما تكون غير مقبولة إذا كانت خطأ، ومجموعة مقدمات تكون غير مقبولة إذا لم تكن متماسكة (...) والمقدمة تكون غير مقبولة عندما ترتكز إلى افتراض غير صحيح أو مختلف عليه، وتكون غير مقبولة اذا لم يقبل صحتها شخص لا يقتنع مباشرة بالنتيجة التي تبررها، وأخيرا تكون المقدمة غير مقبولة إذا كانت أقل قبولا من النتيجة ذاتها"[[6]](#footnote-7) وهكذا يتبين أن مفهوم الحجاج يتأثر عند جوفييه بالسياق الحواري التداولي، ولكنه يأخذ أيضا طابعا معياريا، إي يخضع لمعايير معينة في كل مرة يحتاج فيها الى الفعالية العملية.

**نظرية شارل ويلار: Charles Willard**

ترتكز نظرية ويلار على مفهوم للحجة يستقي دلالته من كثير من حقول البحث المعرفية والعلمية، فبناء مفهوم الحجاج بالنسبة له لا يمكن اختزاله في حقل معرفي واحد، وهكذا يمكن أن نستفيد في بناء ذلك المفهوم من " الفلسفة وعلم اجتماع العلوم، وعلم اجتماع المعرفة، وفي المنطق غير الصوري، والإبستمولوجيا، وفي الأخلاق وفي علم السياسة وفي الفكر النقدي."[[7]](#footnote-8)

لكن تساؤل ويلار حول الحجاج اتخذ طابعا اجتماعيا ونقديا، فهو يبحث عن كيفية بناء الحجاج للعلاقات الاجتماعية، ومن الناحية المعرفية كيف ينظم الحجاج المعارف، " فاهتمامه التحليلي يتركز على البناء الاجتماعي للحجاج، ويتبعه هم نقدي يتركز على شروط وإمكانيات الخطاب العام الناجح."[[8]](#footnote-9) إن نجاح الحجاج مرتبط بقدرة الأفراد على التفاعل والتواصل وفقا للغة العادية المفهومة من قبلهم، كما يرتبط بمدى احترامهم لقواعد الحوار والنقاش، حيث ينشأ الحجاج عن الصراع والمعارضة، والحجة لا تأخذ مكانها إلا ضمن عدم التوافق على الرأي بين الأشخاص، وبالتالي نقاش جدلي ومجابهة، لذا " فالحجاج بالنسبة لويلار عبارة عن مواجهة بين وجهتي نظر متعارضتين، وفي الوقت ذاته هو التبريرات أو البراهين المقدمة لإثبات وجهة النظر هذه. "[[9]](#footnote-10)

لكن وجهة نظر ويلار تخص أيضا الحجاج المغالطي، " فهو يعتقد أن المغالطات كطرق للحجاج يجب اعتبارها عيبا أخلاقيا أو إجرائيا أو علائقيا ولكن ليس عيبا منطقيا"[[10]](#footnote-11) فهي عيب بالنسبة للمنطق الصوري، ولكنها ليست عيبا بالنسبة للمنطق العملي التواصلي، حيث يستخدم الناس بعض هذه المغالطات، فاستخدام حجة شخص الخصم في المجابهة معه يمكن أن تكون معيبة في منظور العلاقات الاجتماعية، ولكنها ليست كذلك من الناحية المنطقية.

خلاصة: يتبين من التحليل السابق لوجهات النظر المختلفة في الحجاج التداولي أنه حجاج مرتبط بمفهوم التداولية وما تعنيه من تواصل وتفاعل وحكم للسياق، ومن ثم فالخطاب يتأثر في حجاجيته بهذا البعد التداولي، حيث اللغة أداة للتواصل والحوار والتفاهم، الأمر الذي يفرض على الحجاج مراعاة المقصد والمقام، والمعايير الاجتماعية والأخلاقية والثقافية التي تحكم المجال التداولي، ومن هنا كانت النظريات التداولية في الحجاج نظريات معيارية تضع شروطا للحجة والحجاج.

1. لدكتورجميل الحمداوي، مرجع سابق. ص: 51 [↑](#footnote-ref-2)
2. الدكتورجميل الحمداوي، مرجع سابق. ص: 52 [↑](#footnote-ref-3)
3. فيليب بروتييه، جيل غوتييه: تاريخ نظريات الحجاج.. مرجع سابق. ص: 87. [↑](#footnote-ref-4)
4. المرجع نفسه. ص: 88 [↑](#footnote-ref-5)
5. المرجع نفسه. ص: 88. [↑](#footnote-ref-6)
6. المرجع نفسه. ص: 89. [↑](#footnote-ref-7)
7. المرجع نفسه. ص: 91 [↑](#footnote-ref-8)
8. المرجع نفسه. ص، ص: 91/92 [↑](#footnote-ref-9)
9. المرجع نفسه.. ص:92. [↑](#footnote-ref-10)
10. المرجع نفسه. ص: 93.. [↑](#footnote-ref-11)